

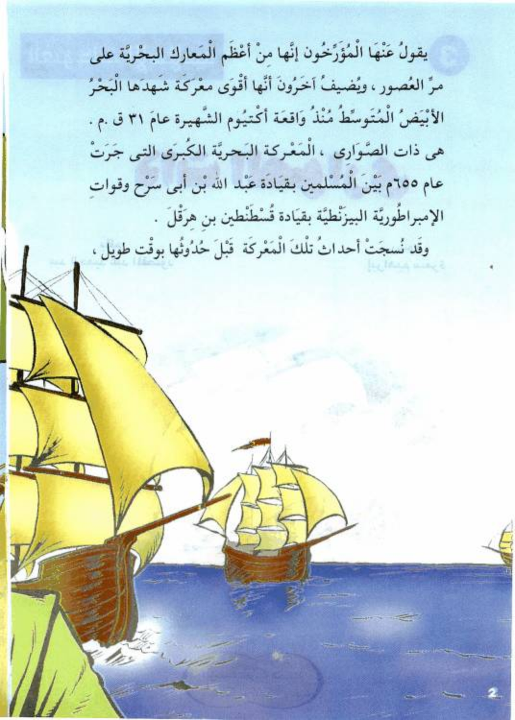


ذات الصوارى

بقلم
عبد الحميد عبد المقصود

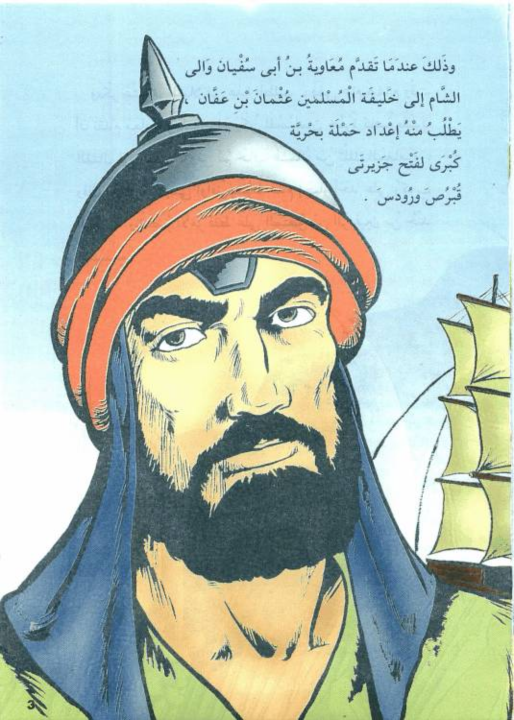
رسوم
إبراهيم سمرة





يقولُ عَنْهَا الْمُؤَرِّخُون إنَّها مِنْ أعْظَم الْمَعارك البحْريَّة على مرِّ العُصور ، ويُضيفُ آخَرُونَ أنَّها أقْوَى معْركَة شَهدَها الْبَحْرُ الأبْيَضُ الْمُتَوسِّطُ مُنْذُ وَاقعَة أكْتيُوم الشَّهيرة عامَ ٣١ ق.م . هى ذات الصَّوَارِى ، الْمَعْركة البَحريَّة الكُبرَى التى جَرَتْ عام ٦٥٥م بَيْنَ الْمُسْلمين بقيَادَة عَبْد الله بْن أبى سَرْح وقوات الإمبراطُوريَّة البيزَنْطيَّة بقيَادة قُسْطَنْطين بن هِرَقْلَ .

وقَد نُسجَتْ أحداثُ تلْكَ الْمَعْركَة قَبْلَ حُدُوثها بوقْت طويل ،


وذَلكَ عندَمَا تَقدَّم مُعَاويةُ بنُ أبى سُفْيان وَالى
الشَّام إلى خَليفَة الْمُسْلمين عُثْمانَ بْنِ عَفَّان ،
يَطْلُبُ منْهُ إعْدَاد حَمْلَة بحْرِيَّة
كُبْرَى لفَتْح جَزيرتَى
قُبْرُصَ ورُودسَ .

وفَكَّرَ عُثْمَانُ طَويلا فى هَذَا الطلب ، فَفى عام ٦٤٨م وقْتَ أن تَقَدَّم مُعَاوِيَةُ بطَلَبه ، لَمْ يَكُنْ للْمُسْلمين خِبْرَةٌ كافيةٌ بفُنُون القتَال فى البحْر ، ومن ثَمَّ خَافَ عُثْمانُ منْ تلْكَ الْمُغَامَرَة ، وقال لمُعَاوية : إنّنى أوافقُ بشَرْط عدم إجْبار أحَد على رُكوبِ البَحْر ، ويقْتَصرُ الأمرُ فقط عَلى الْمُتَطوِّعيْنَ الرَّاغبينَ منْ جُنْد الْمُسْلمينَ .



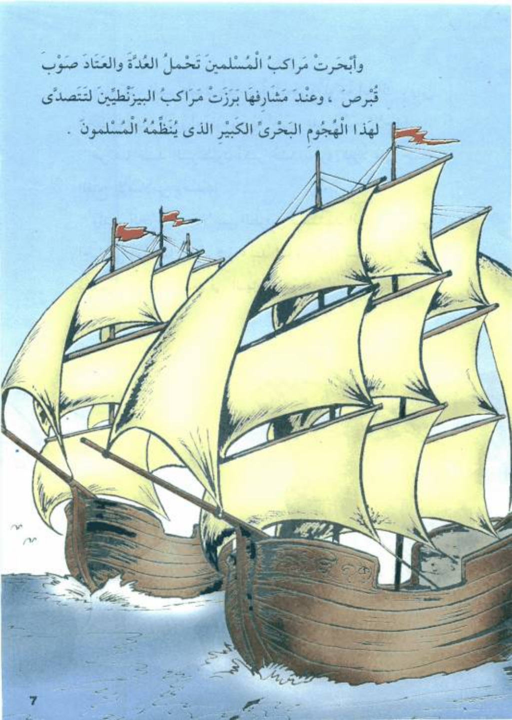


وعلى الفَوْر بَدأ مُعَاوِيَةُ بْنُ أبى سُفْيانَ يُجَهِّزُ حمْلتهُ ، فقَامَ بجمْع فَريق ضَخْم مِنَ الصُّنَّاع الْمَهَرة ، لِيَصْنعوا السُّفُنَ الْمَطْلوبة . ثُمَّ أعْلَنَ عقبَ ذلكَ نَفيرَ الحَرْب وطَلبَ مُتَطوِّعينَ لأداءِ تلكَ الْمُهمَّةِ الصَّعْبَة .

وكَانَتْ الْمُفاجَأةُ الكُبْرَى التى لَمْ يَكُنْ يتوقَّعُهَا أحدٌ ، هِىَ تلكَ الأعْـدَادُ الْهَـائلَةُ منَ الْمُـتَطوِّعينَ التى جـاءتْ تطلبُ الاشْتـراكَ فى الحَمْلة ، جُمُـوعٌ غَفيـرَةٌ توالَتْ منْ كُلِّ مَكَان لتَكْتَمِلَ الأعْـدَادُ المَطْلوبةُ للْحَـملَة فى وَقْت وَجيـز ، وعلى الفَوْر بَدأ التَّدْريبُ والإعْدَادُ .

ثمَّ قَرَّرَ مُعَاوِيَةُ خُرُوجَ الْحَمْلة تَحْتَ قيادَة القائدَيْنِ : أبى قَيْس الحَارثىِّ ، وعبـدِ الله بْنِ أبى سَرْح ، وهُمَا منْ قادَةِ الْمُسْلمينَ الأبطَالِ .



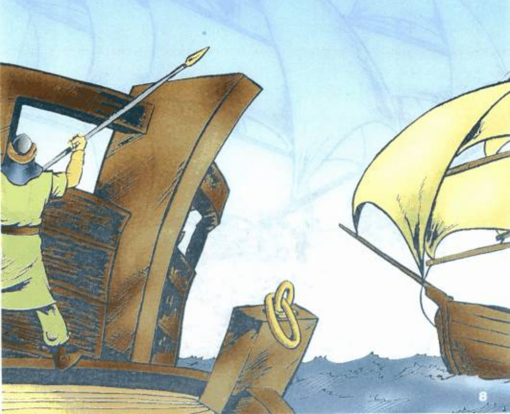


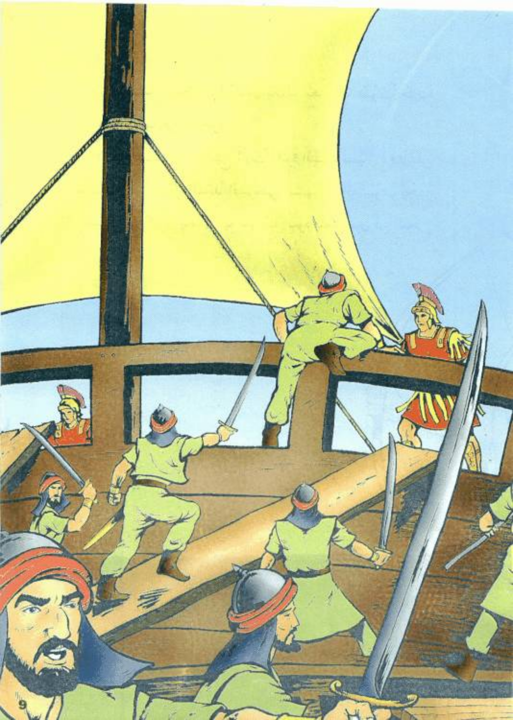
وأَبْحَرتْ مَراكبُ الْمُسْلمينَ تَحْملُ العُدَّةَ والعَتَادَ صَوْبَ قُبْرصَ ، وعنْدَ مَشَارِفهَا بَرَزَتْ مَرَاكبُ البيزَنْطيِّينَ لتَتَصدَّى لهَذا الْهُجُومِ البَحْرىِّ الكَبيْرِ الذى يُنَظِّمُهُ الْمُسْلمونَ .

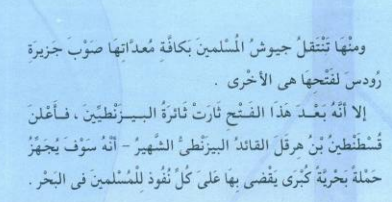
فقَدْ كَانَ البيزَنْطيُّونَ هُمْ سَادَةُ البَحْرِ ومُلُوكَهُ آنذاكَ ، ومِنَ الْخُطُورَة بمَكَانٍ ظُهُورُ أيِّ قُوَّة بَحْرِيَّة أخْرَى عَلى مَسْرَحِ الأحْدَاث .

مِنْ هُنَا حَشدَ البيزَنْطيُّونَ أكبرَ حَشْد بَحْرى للرَّدِّ على حَمْلَة الفَتْح الإسْلامى وصَدِّهَا .

وتَدورُ الْحَرْبُ سجالا بيْنَ الطَّرفَيْن فيُسْتَشْهدُ القائدُ أبو قَيْس الحَارثىُّ ، ويُكْمِلُ المَعْـركَـةَ عَبْـدُ الله بْنُ أبى سَـرْح ، إلى أنْ يَنْتَصرُ جُنْدُ الْمُسْلمينَ فى النِّهاية ويَتمُّ فَتْحُ جَزيرةِ قُبْرص .

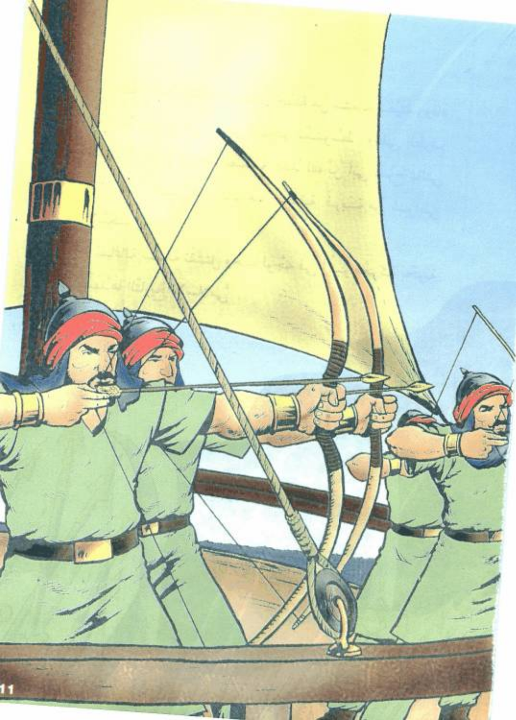






ومِنْهَا تَنْتَقِلُ جيوشُ المُسْلمينَ بكافَّةِ مُعدَّاتِها صَوْبَ جَزيرَةِ رُودسَ لفَتْحِهَا هى الأخْرى .

إلا أنَّهُ بَعْـدَ هَذَا الفَـتْحِ ثَارَتْ ثَائِرَةُ البيــزَنْطيِّينَ ، فـأَعْلنَ قُسْطَنْطينُ بْنُ هِرقلَ القائدُ البيزَنْطىُّ الشَّهيرُ - أنَّهُ سَوْفَ يُجَهِّزُ حَمْلَةً بَحْرِيَّةً كُبْرَى يَقْضى بِهَا عَلَى كُلِّ نُفُوذٍ لِلْمُسْلمينَ فى البَحْرِ .



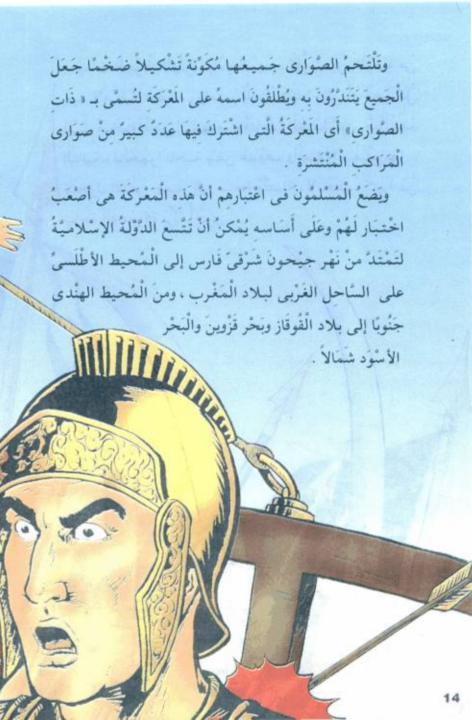
وبالْفعلِ أَعدَّ القائدُ البيزَنْطِيُّ حَمْلةً منْ ستمائة سَفِيْنَة ، وقَادَ الْحَمْلةَ بنَفْسِه في عرضِ البَحْرِ الْمُتوسِّط . وعَلى الطَّرَفِ الْمُقَابلِ تَقَدمَ القائدُ الْمُسْلمُ عبدُ الله بْنُ أبى سَرْح بمائتَى سَفِينَة ، ليَلْتَقِىَ الطَّرَفَانِ عنْدَ مِنْطَقَة قَريبَة منْ شَوَاطِئِ الإسْكَنْدرِيَّة .

ثمانمائة سَفِينَة تَقْتَتلُ وَجْهًا لوَجْه في أكْبر مَعْركَة بَحْريَّة يَشْهَدُهَا التَّاريخُ الإسلاميُّ .



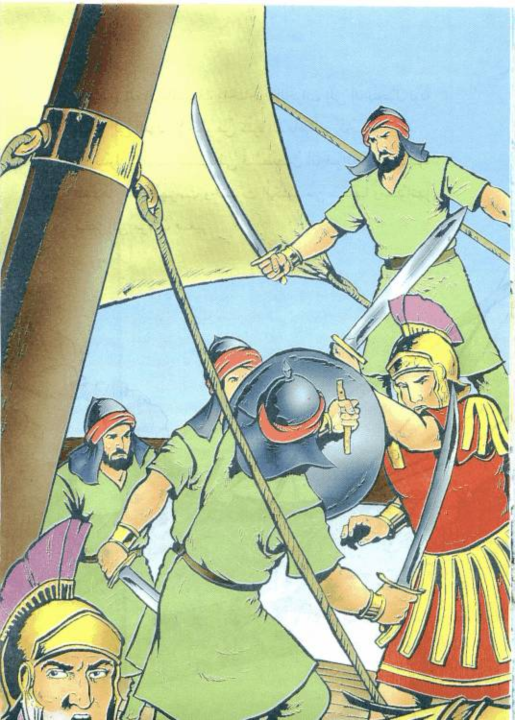
بَدأَتْ الْجَوْلَةُ الأولَى بتَبَادُل السِّهام ، كُلٌّ يَتحيَّنُ الفُرْصَةَ منْ بَعيد لاصْطِياد خَصْمه ، واسْتَمَرَّ الْحَالُ هَكَذَا ، إلى أنْ أنْهى كُلُّ فـريق مَـخْـزُونَهُ منَ السِّـهَـام ، وهُنَا بَدأ الْمُـسْلمُـونَ جَـوْلَتَـهمْ الثَّانيةَ ، فاتَّجَهُوا ناحيَةَ سُفُنِ عَدُوِّهم وألْصَقُوا سُفُنَهُم بها ، لتَتحوَّلَ السُّفُنُ جَميعًا إلى سَاحَة مُتَّصلَة ، لاتَخْتَلفُ كثيرًا عَنْ سَاحَةِ أيَّةِ مَعْرِكَة بَرِّيَّةٍ أُخْرَى .





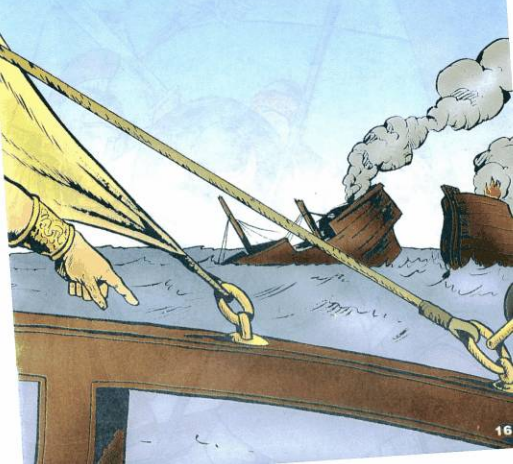
وتَلْتَحِمُ الصَّوَارى جَمِيعُها مُكَوِّنةً تَشْكِيلاً ضَخْمًا جَعَلَ الْجَمِيعَ يَتَنَدَّرُونَ به ويُطْلِقُونَ اسمهُ على المَعْرَكَةِ لتُسمَّى بـ « ذَاتِ الصَّوارِى» أَى المَعْرَكَةُ الَّتى اشْتَرَكَ فيهَا عَدَدٌ كبِيرٌ مِنْ صَوَارى الْمَرَاكِبِ الْمُنْتَشِرَة .

ويَضَعُ الْمُسْلِمُونَ فى اعْتِبَارِهِمْ أَنَّ هَذه الْمَعْرَكَةَ هى أَصْعَبُ اخْتِبَارٍ لَهُمْ وعَلَى أَسَاسه يُمْكِنُ أَنْ تَتَّسِعَ الدَّوْلَةُ الإسْلاميَّةُ لتَمْتَدَّ مِنْ نَهْرِ جِيْحونَ شَرْقِىَّ فَارس إلى الْمُحيط الأَطْلَسِىِّ على السَّاحِلِ الغَرْبِى لبلاد الْمَغْرِب ، ومِنَ الْمُحيط الهِنْدى جَنُوبًا إلى بِلاد الْقُوقَاز وبَحْر قَزْوِينَ والْبَحْر الأَسْوَد شَمَالاً .

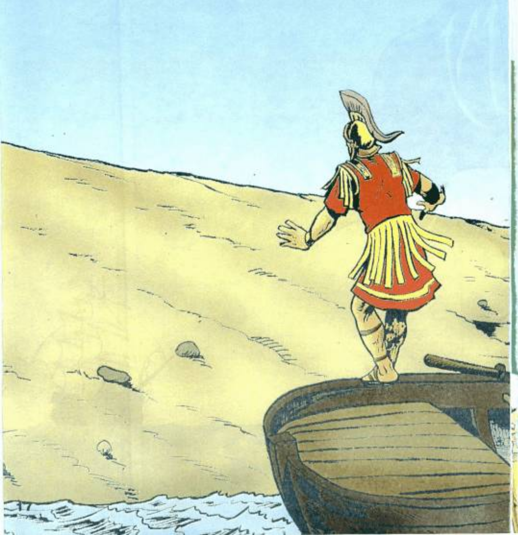


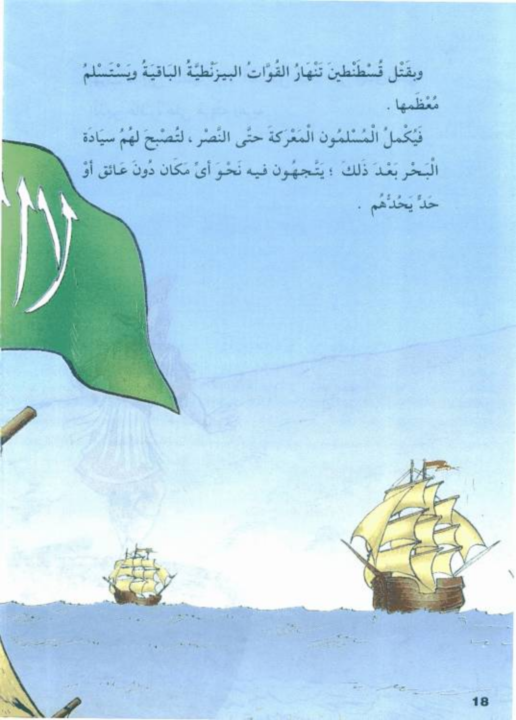
وَيَدُور الْقتَال بالسُّيُوف والخَناجر والْحرَاب إلى أن يَتَحوَّل لَوْنُ الْبَحْر إلى اللَّوْن الأحْمَر منْ كثْرَة الدِّمَاء الَّتى تَخْتَلطُ بمِيَاهه .

وَيُدْركُ القَائدُ البيزَنْطىُّ قُسْطَنْطينُ أن قُوَّاته - مَعَ كَثْرَة عَدَدها - قَد انْهَزَمَت وخَسرَت الْكَثير من سُفُنها ومُعَدَّاتها فَيَقْفزُ إلى مَرْكَب صَغير



يَهْرُبُ به إلى صَقَلِّية ، إلا أَنّهُ يُقْتَلُ هُنَاكَ عَلَى أَيْدى أَهْلِهَا الَّذينَ عَاقبُوهُ عَلى هَزيمَته وهَرَبه .





وبقَتْل قُسْطَنْطين تَنْهَارُ القُوّاتُ البيزَنْطيَّةُ البَاقيَةُ ويَسْتَسْلمُ مُعْظَمها .

فَيُكْملُ الْمُسْلمُون الْمَعْرَكةَ حتّى النَّصْر ، لتُصْبحَ لهُمْ سيَادَة الْبَحْر بَعْدَ ذَلكَ ؛ يَتَّجهُون فيه نَحْوَ أيِّ مَكَان دُونَ عَائق أوْ حَدٍّ يَحُدُّهُم .





رقم الإيداع : ٣٦٣٦
الترقيم الدولي : ٧ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧